بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة بعنوان: **بطولات لا تنسى**

التضحية من أجل الوطن أدوار متعددة ومسؤولية جماعية

مفهوم الوطن في ميزان الإسلام

رسول الله (ﷺ) يعلمنا الانتماء وحب الأوطان والتضحية من أجلها

من شمائل شهر شعبان وقراءة جديدة في دروس ليلة النصف

بقلم
الدكتور

عضو المجلس الأعلى
للشؤون الإسلامية

الجمعة: ١١ شعبان ١٤٤٧هـ / ٣٠ يناير ٢٠٢٦م - صفحة معارج الدعاة - موقع صوت الدعاة

الحمد لله الذي جعل حبَّ الأوطان غريزةً في فطرة الإنسان، وجعل الذَّود عنها سبيلاً إلى النصر المبين..

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا (ﷺ) عبده ورسوله، خاتم المرسلين، وإمام الصابرين، وقائد المجاهدين، وأوفى الناس أجمعين، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه الغر الميامين...

والصلاة والسلام الأتمان الأكملان، الأشرفان الأنوران، الأعطران الأزهران، المزهران المثمران، على مَن جُمِعت كلّ الكمالات فيه.. وعلى آله وصحبه وتابعيه..

فَمَبْلَغُ العِلمِ فِيهِ أنَّهُ بَشَرٌ ❊❊❊ وَأنَّهُ خَيْرُ خَلقِ اللّهِ كلهم

مَوْلايَ صَلِّ وَسَلِّمْ دَائِمًا أبَدًا ❊❊❊ عَلى حَبِيبِكَ خَيْرِ الخَلْقِ كلهم

اللهم رضّه عنَّا، وارض عنَّا، برضاه عنَّا.. ووضئنا يا ربنا بأخلاقه العظيمة، وحقق أمانينا بزيارته، وافتح لنا أبواب رؤيته، ونيل شفاعته، اللهم آمين يا رب العالمين...

أيها المسلمون: أوصيكم ونفسي المقصرة بتقوى الله، فإنها وصية الله للأولين والآخرين، قال تعالى: (...وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ ۚ...) (النساء: ١٣١)، وقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ) (آل عمران: ١٠٢)، وقال سبحانه: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا) (الأحزاب: ٧٠-٧١)، وقال الكريم جلَّ وعلا: (...وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلَاقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ) (البقرة: ٢٢٣).

أما بعد...

ما أجمل أن نستهل هذا الموضوع بالحديث عن سيدنا رسول الله (ﷺ):

يقول حسان بن ثابت (رضي الله عنه) [١]:

لَمَّا رَأَيْتُ أَنْوَارَهُ سَطَعَتْ *** وَضَعْتُ مِنْ خِيفَتِي كَفِّي عَلَى بَصَرِي
خَوْفًا عَلَى بَصَرِي مِنْ حُسْنِ صُورَتِهِ *** فَلَسْتُ أَنْظُرُهُ إِلا عَلَى قَدَرِي
رُوحٌ مِنَ النُّورِ فِي جِسْمٍ مِنَ الْقَمَرِ *** كَحِلْيَةٍ نُسِجَتْ مِنَ الأَنْجُمِ الزُّهَرِ

وقال عنه (ﷺ):

وَأَحْسَنُ مِنْكَ لَمْ تَرَ قَطُّ عَيْنِي *** وَأَجْمَلُ مِنْكَ لَمْ تَلِدِ النِّسَاءُ
خُلِقْتَ مُبَرَّأً مِنْ كُلِّ عَيْبٍ *** كَأَنَّكَ قَدْ خُلِقْتَ كَمَا تَشَاءُ
اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَزِدْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ

حب الأوطان... من التأصيل الشرعي إلى الواجب العملي

المحور الأول: مفهوم الوطن في منظور الإسلام

الوطن في التصوّر الإسلامي ليس ترابًا وحدودًا برّيَّةً أو بَحْرِيَّةً أو جَوِّيَّةً، أو إحداثياتٍ جامدة، ولا خطوطَ طولٍ ودوائرَ عرضٍ فحسب؛ بل هو الموئلُ الحاضن، والمظلَّةُ الجامعة، وهو التاريخُ المتجذّر، والحضارة الملهمة، والحاضرُ الحيّ، والمستقبلُ المأمول، وهو المكانُ المستقرّ الآمن الذي يُقام فيه الدين، ويُصان فيه العِرض، وتُحفَظ فيه الكرامة،

(١) حسان بن ثابت: ابن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عدي بن عمرو بن مالك بن النجار. سيد الشعراء المؤمنين، المؤيد بروح القدس، أبو الوليد: يقال: أبو الحسام. الأنصاري الخزرجي النجاري المدني، ابن الفريعة. شاعر رسول الله (ﷺ) وصاحبه. حدَّث عنه ابنه عبد الرحمن، والبراء بن عازب، وسعيد بن المسيب، وأبو سلمة، وآخرون، وقال ابن منده: حدَّث عنه عمر، وعائشة، وأبو هريرة.. وحديثه قليل. قال ابن سعد: عاش ستين سنة في الجاهلية، وستين عامًا في الإسلام. قال ابن سعد، عن الواقدي: لم يشهد مع النبي (ﷺ) مشهدًا. كان يجبن. وأمه الفريعة بنت خنيس. قال مسلم: كنيته أبو عبد الرحمن. وقيل: أبو الوليد. قال ابن إسحاق: سألت سعيد بن عبد الرحمن بن حسان: ابن كم كان حسان وقت الهجرة؟ قال: ابن ستين سنة، وهاجر رسول الله وهو ابن ثلاث وخمسين.

وعن الزهري، عن ابن المسيب، قال: كان حسان في حلقة فيهم أبو هريرة، فقال: أنشدك الله يا أبا هريرة، هل سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: أجب عني، أيدك الله بروح القدس؟ فقال: اللهم نعم. وقال سعيد بن المسيب: مر عمر بحسان، وهو ينشد الشعر في المسجد، فلحظه. فقال حسان: قد كنت أنشد فيه، وفيه خير منك -يعني النبي(ﷺ)-. قال: صدقت. وعن عروة، عن عائشة (رضي الله عنها)، قالت: كان حسان يضع له النبي (ﷺ) منبرا في المسجد، يقوم عليه قائما ينافح عن رسول الله (ﷺ) ورسول الله يقول: إن الله يؤيد حسان بروح القدس ما نافح عن رسول الله (ﷺ). أخرجه أبو داود والترمذي.

وعن جابر، قال: لما كان يوم الأحزاب، قال النبي، (ﷺ): من يحمي أعراض المسلمين؟ قال كعب بن مالك: أنا. وقال ابن رواحة: أنا. وقال حسان: أنا. قال: نعم، اهجهم أنت، وسيعينك عليهم روح القدس. وعن عمر بن حوشب، عن عطاء بن أبي رباح، سمعه يقول: دخل حسان على عائشة، بعدما عمي، فوضعت له وسادة، فدخل أخوها عبد الرحمن، فقال: أجلستيه على وسادة، وقد قال ما قال - يريد مقالته نوبة الإفك - فقالت: إنه كان ينافح عن رسول الله، (ﷺ)، ويشفي صدره من أعدائه - وقد عمي، وإني لأرجو ألا يعذب في الآخرة.

وروي عن عائشة قالت: قدم رسول الله المدينة، فهجته قريش، وهجوا معه الأنصار. وقالت: إنه كان ينافح، أو يهاجي عن رسول الله (ﷺ). وعن سعيد بن جبير، قال: قيل لابن عباس قدم حسان اللعين. فقال ابن عباس: ما هو بلعين، قد جاهد مع رسول الله (ﷺ) بنفسه ولسانه. قلت: هذا دال على أنه غزا (والله أعلم).

وعن حبيب بن أبي ثابت، قال: أَنْشَدَ حَسَّانُ النبيَّ (ﷺ): شَهِدْتُ بِإِذْنِ اللهِ أنَّ محمدًا رسولُ*الذي فوقَ السمواتِ من عَلُ*وَأنَّ أبا يَحْيَى ويَحْيَى كِلاهُما*لهُ عَمَلٌ من ربِه مُتَقَبَّلُ*وَأنَّ أَخَا الأَحْقَافِ إِذْ قامَ فيهِمْ*يقولُ بِذَاتِ اللهِ فيهِمْ ويَعْدِلُ* فقال النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : وأنا.فقال النبي، (ﷺ): وأنا . (أخرجه الذهبي في سير أعلام النبلاء - وهذا مرسل)

وعن عبد الملك بن عمير: أن النبي (ﷺ) أنشده حسان: وأن الذي عادى اليهود ابن مريم نبي أتى من عند ذي العرش مرسل

وقال ابن الكلبي: كان حسان لسنا شجاعا، فأصابته علة أحدثت فيه الجبن. قال سليمان بن يسار رأيت حسان له ناصية قد سدلها بين عينيه. إسحاق الفروي، وآخر، عن أم عروة بنت جعفر بن الزبير بن العوام، عن أبيها، عن جدها، قال: لما خلف رسول الله (ﷺ) نساءه يوم أحد خلفهن في فارع وفيهن صفية بنت عبد المطلب، وخلف فيهن حسان؛ فأقبل رجل من المشركين ليدخل عليهن. فقالت صفية لحسان: عليك الرجل. فجبن، وأبى عليها. فتناولت السيف، فضربت به المشرك حتى قتلته. فأخبر بذلك؛ فضرب لها بسهم -أي من الغنائم-. وزاد الفروي فيه: أنه قال: لو كان ذاك في، لكنت مع رسول الله. [redacted] فتفرقوا.. وروى نحوه ابن إسحاق: حدثنا يحيى بن عباد، عن أبيه، وفيه: فقالت لحسان: قم فاسلبه، فإني امرأة وهو رجل. فقال: ما لي بسلبه يا بنت عبد المطلب من حاجة.. قال ابن إسحاق: توفي حسان سنة أربع وخمسين وأما الهيثم بن عدي، والمدائني فقالا: توفي سنة أربعين. قلت: له وفادة على جبلة بن الأيهم، وعلى معاوية. -أي: كانت له زيارةٌ رسميّةٌ أو لقاءٌ ذو طابعٍ سياسيّ أو اجتماعيّ مع جَبَلَةَ بنِ الأيهم الغسّاني، وكذلك مع معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، والوفادة في اصطلاح المؤرّخين تدلّ على المجيء على ذي سلطان أو إمرة بقصد اللقاء، أو المراجعة، أو المشاركة في شأنٍ عام- قال ابن سعد: توفي زمن معاوية. المصدر- نقلا عن: سير أعلام النبلاء: الذهبي - شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، ج ٢/ ص ٥١٣- ٥٢٣ بتصرف.

وتستقيم فيه الحياة الإنسانية على ميزان القيم والعدل... الوطن هو سائرُ مُكَوِّناتِ المجتمع، وشَتَّى مفرداتِه، وهو التراثُ الراسخ، والثوابتُ الحاكمة، بأصولها التي لا تتبدَّل، وفروعها التي تتجدَّد، وهو منظومةُ القيم والأخلاق التي تُشكِّل الوعي، وتضبط السلوك، وتحمي هُويةَ الأمَّة، وتحفظ لها توازنَها وكرامتَها واستمرارَها... وهو بوتقةُ التقدُّمِ والرُّقِيِّ والرَّفاهيةِ والازدهار، تُصهَرُ فيها الطاقات، وتتلاقى فيها الجهود، وتتكامل فيها العقول والسواعد، فتُبنَى الأوطانُ بناءً واعيًا، وتنهضُ الأممُ نهوضًا راسخًا، وتتحقّقُ معاني الاستخلاف والعمران وفق ما أراده الله (جلَّ في علاه).

والوطن هو الأرض التي سجدنا لله عليها، والبيوت التي تقلنا، والذكريات التي شكّلت وجداننا، والهوية التي ننتمي إليها.

ومن هنا كان حب الوطن والانتماء له من صميم الفطرة السوية، ومن لوازم الإيمان الصحيح؛ إذ لا دين بلا وطن آمن، ولا عبادة بلا استقرار كما ذكرنا.

الوطن كلمة تتخطى حدود الزمان والمكان وليس قطعة أرض أو حفنة تراب كما يظن بعض ضعاف القلب.. ضعاف البصيرة، بل إن الوطن له في القلب مكان ومكانة، وله في الوجدان حبٌّ لا يُزاحمه حبّ، ولا يُضاهيه شوق.

الوطن قيمة حياتية، وروحية، وحضارية

أهمية الوطن تفوق الوصف والخيال:

الوطن هو المأوى، وهو المهوى، وهو القرار، والمستقر، وهو الحضن الكبير الذي يضم أبناءه في السراء والضراء.

- ✓ الوطن هو المظلة التي تظلل الناس بالحماية والرعاية والعناية:
  - وفي ظله يأمن الخائف.
  - ويُعالج المريض.
  - ويتعلم الجاهل.
  - ويُكرم الكبير.
  - ويُرحم الصغير.
  - ويتراحم الناس والمخلوقات.
- ✓ الوطن هو ميدان الجهد والعطاء والبناء.
- ✓ وهو الأرض التي جعلها الله لك مستقرا، ومكانًا لرزقك وسعيك في الأرض.
- ✓ هو البيئة التي فيها أهلك، وجيرانك، وذكرياتك، وماضيك وحاضرك.
- ✓ وهو ميدان التكاليف الشرعية فيه تصلّي، وتصوم، وتزكّي، وتعلّم الناس الخير.
- ✓ هو مكان الانتماء الروحي والوجداني.
- ✓ هو المكان الذي ترتبط به العقيدة واللغة والتاريخ.
- ✓ هو الميدان الذي تُحمى فيه القيم.
- ✓ الوطن ليس ترابًا، بل هو العرض، والشرف، والدين، والمقدسات، والأجيال.

فلولا الوطن الآمن، لَمَا كان الاستقرار.

ولولا الوطن المستقر، لَمَا قامت حضارة.

ولولا الوطن المستقر لَمَا كان البناء والرخاء.

ولولا الوطن المستقر لَمَا كان التعايش.

ولولا الوطن المتعايش لَمَا كانت الحياة الهادئة الهانئة.
ولولا الوطن الآمن العادل لأكل القوي الضعيف.
ولولا الوطن لَمَا كانت العبادات والشعائر.
ولولا الوطن الحاضن، لَمَا تربى الأولاد على القيم والهُوية والانتماء.
ولولا الوطن القوي، لَمَا اندحر العدوان، ولَمَا صان الناس الأرض والعرض.
ولولا الوطن المتماسك، لانفرط عقد المجتمع، وسادت الفتن والفوضى.
ولولا الوطن الراعي، لَمَا وجد المريض علاجًا، ولا الجائع طعامًا، ولا الجاهل علمًا.
ولولا الوطن المحصَّن، لَمَا صمدت الأمة أمام رياح التغريب والغزو الثقافي.

نعمة الوطن

الوطن ليس بقعة جغرافية تُحدّ على الخرائط كما أكدنا، بل هو كيان متكامل تتكون عناصره من:

١. الأرض
٢. الإنسان
٣. السلطة والقانون
٤. القيم
٥. الرسالة

ومن فقد أحد هذه العناصر، فقد شيئًا من وطنه، وربما فقد وطنه كله!

مِن أراد أن يعرف نعمة الوطن؟

من أصبح منكم آمنًا في سربه:

عبد الله بن محصن (رَضِى اللهُ عنه) عن النبى(ﷺ): (مَنْ أصبحَ منكمْ آمنًا في سربه، معافًى في جسدِه، عندَهُ قوتُ يومِه، فكأنَّما حيزتْ له الدنيا بحذافيرها) [٢].

فمَن توفَّر له الأمانُ على نفسِه، أو على أهلِه، والسِّربُ هو السَّبيلُ أو الطريقُ، وقيل: البيتُ، وقيل: الأرضُ والمسكنُ والوطنُ، وتحصَّلت له العافيةُ في جسدِه، فسَلِم من المرض والبلاءِ، وكان صحيحًا، وتوفَّر له ما يحتاجُه من مؤونةٍ وطعامٍ وشرابٍ يكفي يومَه؛ فكأنما مَلَكَ الدنيا وجمعها كلَّها. وعلى العبدِ أن يحمدَ اللهَ (تعالى)، ويشكرَه على هذه النِّعَمِ العظيمة.

- اسألوا –أيها السادة– مَن حُرموا الأوطان، اسألوا مَن يسكنون الخيام، أو يهيمون في دروب الغربة، كم يتمنَّون ذرَّةَ ترابٍ من بلادهم؟!
- الوطنُ نعمةٌ لا تُعرَف قيمتُها الحقيقية إلا عند الفقد، واسألوا الذين فَقَدوا الأوطان، وشُرِّدوا عنها، كم يبكون شوقًا وحنينًا إليها.
- وإذا أردتَ أن تعرف قيمةَ وطنِك، فتخيَّل يومًا –لا قدر الله– تُمنَع فيه من سماع الأذان، أو من دخول المسجد، أو من السلام على جارك، أو من الأمان في بيتِك!.
- فاشكروا نعمَ اللهِ عليكم، وكونوا حُماةً لأوطانِكم بالعلم، والعمل، والأخلاق، والدعاء.

انظروا – عباد الله – إلى أحوال من فقدوا أوطانهم:

- يُشردون في الأرض.
- لا يجدون مأوى.
- لا يشعرون بالأمان.

(٢) أخرجه السيوطي في الجامع الصغير– حسن.

- أُغلقت أمامهم الأبواب.
- وتقطعت بهم السبل...

فحافظوا على وطنكم، واحترموا أوطان الآخرين، وابنوا جسور المحبة والسلام التي ترفع من شأن الإنسانية.

رسول الله (ﷺ) يعلمنا الانتماء وحب الأوطان:

وطنه مكة المكرمة:

على الرغم مما تعرض له سيدنا النبي (ﷺ) والصحابة الكرام من إيذاء المشركين في مكة معنويًّا ونفسيًّا، واضطهادهم والسخرية من الرسول ووصفه بما لا يليق (حاشاه)، والإيذاء الجسدي والتحريض ضده وضد المسلمين، وتعذيبهم في الحر الشديد، والمقاطعة الاقتصادية والاجتماعية لهم وحصار بني هاشم ثلاث سنوات، وتخطيط قريش لقتل النبي (ﷺ)....إلخ، وغيره كثير تم على أرض مكة، وطنه الذي ولد فيه وتربى على ترابه، وعلى الرغم من ذلك فإنه حين منها، مُكرهًا لا مختارًا، في هجرته إلى المدينة وقف على مشارفها باكيًا، وقال: (واللَّهِ إنِّي أعلمُ أنَّكِ خَيرُ أرض اللَّهِ وأحبُّها إلى اللَّهِ ولَولا أنَّ أهلَكِ أخرَجوني مِنكِ ما خرَجتُ) (٣).

وعن عبد الله بن عديّ بن حمراء (رَضِي اللهُ عنه) قال: رأيْتُ رسولَ اللهِ (ﷺ) واقِفًا على الحَزْوَرَةِ فقال واللهِ إنَّكِ لَخَيْرُ أرضِ اللهِ وأحبُّ أرضِ اللهِ إلى اللهِ ولَوْلا أنِّي أُخْرِجْتُ مِنْكِ ما خرجْتُ) (٤).

يقولُ عبدُ اللهِ بنُ عَديّ رأيتُ رسولَ اللهِ (ﷺ) واقِفًا على الحَزْوَرةُ: وهو مكان مرتفِعٌ يُقابِلُ المسعَى مِن جِهَةِ المشرقِ، وكان هذا سُوقًا مِن أسواقِ مكَّةَ، فقال (ﷺ) مُخاطِبًا مكَّةَ: "واللهِ، إنَّكِ لَخَيرُ أرضِ اللهِ"، أي: أفضلُها وأعظمُها، "وأحبُّ أرضِ اللهِ إلى اللهِ، ولولا أنِّي أُخرجتُ مِنكِ"، أي: بأمرٍ مِن اللهِ، وذلك بَعدَما زاد أذَى قُريشٍ له ولِمَن أسلَم معَه، "ما خرَجتُ.

وهكذا قد جسّد النبي (ﷺ) أسمى معاني الانتماء للوطن... فإذا كان هذا حال نبي الرحمة (ﷺ)، فما بال أقوام يهوّنون من شأن الأوطان، أو يستخفون بقيمتها، أو يبخلون عليها بالعمل والوفاء؟.فحري بنا جميعا أن نوقر أوطاننا ونضحي من أجل حمايتها ورفعتها...

بشارة عاجلة من الله لنبيه والمسلمين:

لما قال الرسول (ﷺ) ما قال في حق مكة، أنزل الله (سبحانه وتعالى) قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۚ...) (القصص: ٨٥).

وذلك أن النبي (ﷺ) لما خرج من الغار مهاجرًا إلى المدينة، سار في غير الطريق المعهود مخافة الطلب، فلما أمن ورجع إلى الطريق نزل الجحفة بين مكة والمدينة، وعرف الطريق إلى مكة اشتاق إليها، فأتاه جبريل (عليه السلام) وقال: أتشتاق إلى بلدك ومولدك؟.

قال: نعم.

قال: فإن الله تعالى يقول: (إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ)، كما جاء في تفسير البغوي (رضى الله عنه)، وفي تفسير ابن كثير روى العوفي، عن ابن عباس: (لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ) لرادك إلى مكة كما أخرجك منها أهـ. وكانت هذه بشارة من الله تعالى، وقد تحققت في العام الثامن في فتح مكة.

وطنه المدينة المنورة:

حين دخل النبي (ﷺ) المدينة، بدأ في بناء الأمن الداخلي:

- آخى بين المهاجرين والأنصار.
- وضع وثيقة المدينة، أول دستور مدني يحمي الحقوق ويمنع الاعتداء.
- نهى عن إثارة الفتن.

---

(٣) أخرجه ابن عبد البر في التمهيد – صحيح.

(٤) أخرجه الترمذي في سننه.

ولما هاجر وأصحابه إلى المدينة رأي مدى حبهم لوطنهم مكة ومدى شوقهم إليها، فكان يسأل الله كثيرا أن يرزقه هو وأصحابه حبَّ المدينة حبًّا يفوق حبَّهم لمكة..

فعن أم المؤمنين السيدة عائشة (رضى الله عنها)، أن رسول الله (ﷺ) قال: (اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا المَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ، اللَّهُمَّ وصَحِّحْهَا، وبَارِكْ لَنَا فِي مُدِّهَا وصَاعِهَا، وانْقُلْ حُمَّاهَا فَاجْعَلْهَا بِالجُحْفَةِ) (٥).

كما كان النبي(ﷺ) يكثر الدعاء لوطنه؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه)، أَنَّهُ قَالَ: كَانَ النَّاسُ إِذَا رَأَوْا أَوَّلَ الثَّمَرِ جَاؤُوا به إِلَى النبيّ (ﷺ)، فَإِذَا أَخَذَهُ رَسولُ اللهِ (ﷺ)، قالَ: (اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي ثَمَرِنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي مَدِينَتِنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي مُدِّنَا، اللَّهُمَّ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ عَبْدُكَ وَخَلِيلُكَ وَنَبِيُّكَ، وإِنِّي عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ، وإِنَّه دَعَاكَ لِمَكَّةَ، وإِنِّي أَدْعُوكَ لِلْمَدِينَةِ بِمِثْلِ ما دَعَاكَ لِمَكَّةَ، وَمِثْلِهِ معهُ)، قالَ: ثُمَّ يَدْعُو أَصْغَرَ وَلِيدٍ له فيُعْطِيهِ ذلكَ الثَّمَرَ (٦).

جبر خاطر الأنصار:

لما عفا النبي (ﷺ) في فتح مكة عمن أساءوا إليه وإلى المسلمين، وأكرم أهلها، ظنّ الأنصار أنه سيقيم بمكة ويترك المدينة، فقالوا: "أما الرجل فقد أخذته رأفة بعشيرته، ورغبة في قريته..."، وذلك لأنهم خافوا أن يؤثر المقام في مكة على المقام بالمدينة، فحملهم شدة محبتهم للنبي (ﷺ) وكراهة مفارقته، على هذا الكلام. وَنَزَلَ الوَحْيُ عَلَى رَسولِ اللهِ (ﷺ)، قالَ: قُلتُمْ: أَمَّا الرَّجُلُ فقَدْ أَخَذَتْهُ رَأْفَةٌ بعَشِيرَتِهِ، وَرَغْبَةٌ في قَرْيَتِهِ، أَلَا فَما اسْمِي إذنْ؟ -ثَلَاثَ مَرَّاتٍ- أَنَا مُحَمَّدٌ عبدُ اللهِ وَرَسولُهُ، هَاجَرْتُ إلى اللهِ وإلَيْكُمْ، فَالْمَحْيَا مَحْيَاكُمْ، وَالْمَمَاتُ مَمَاتُكُمْ(٧).

نعمة الوطن تسبق كثيرا من النعم:

قال الله تعالى: (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ...) (البقرة: ١٢٦).

هل تأملتم؟

سيدنا إبراهيم (عليه السلام)، حين دعا لأعظم بلد -مكة المكرمة- سأل الله أول ما سأل: الأمن، لأن الوطن لا قيمة له بلا أمن.. فقدَّم الأمن على الطعام، وفي هذا ترتيب إلهي يدل على أهمية الوطن كمصدر للأمان والاستقرار، وميدان للعبادة والتمكين.

الوطن مقرّ التكاليف.. فلا حجّ بلا وطن يُنطلق منه، ولا زكاة بلا مال يُكتسب فيه، ولا صيام ولا صلاة بلا أمن واستقرار.

الأمن في الوحي الشريف

(آمِنِين) ثلاثيةُ الأمن الإلهي: الجنةُ، ومكةُ، ومصر

لقد ميَّز الله (سبحانه وتعالى) ثلاثةَ أماكنَ واختصَّها في كتابه الكريم بوصف الأمن، فجاء التعبير القرآني عنها بلفظٍ واحدٍ جامع: (آمِنِينَ)؛ إيذانًا بعِظَم المنزلة، ورفعة الشأن، وكمال النعمة.

١. فكانت **الجنة** دارَ الأمن الأبدي، حيث قال سبحانه: (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ . ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ) (الحجر: ٤٥-٤٦).

٢. وكانت **مكة المكرمة** بلدَ الأمن والسكينة، ومهوى الأفئدة، حيث قال تعالى: (لَّقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا) (الفتح: ٢٧).

---

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه.

(٦) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه.

(٧) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه.

٣. ثم كانت مصر، وطنَنا الغالي الحبيب، دارَ أمن وطمأنينة، وملاذًا للمستضعفين، حيث قال الله تعالى على لسان يوسف (عليه السلام): (فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ) (يوسف: ٩٩).

ويا لها من فريدة عظيمة من الله الكريم...

وهكذا فالأمنُ نعمةٌ إلهيةٌ كبرى، إذا اقترنت بالمكان رفعته، وإذا فُقِدت منه أظلمت الحياة، وقد شاء الله تعالى أن يجمعها للجنة دار الجزاء، ولمكةَ قبلةِ المسلمين، ولمصرَ بلدِ الحضارة والرسالة والتاريخ وغوث البلاد والعباد.

مصر... وطننا الذى باركه الله، فهلا حافظنا عليه:

وطنُنا - باركه الله - وطنٌ مباركٌ بفضل الله، فضَّله الله وأعلَى ذكرهُ بين العالمين، وشرفَهُ بأن:

- ✓ مصر وطن عاشَ فيه عددٌ من أنبياء الله.
- ✓ ومنه كانت السيدة هاجر أم سيدنا إسماعيل وهو أبو العرب.
- ✓ وتجلى الله على بقعةٍ فيه ولم يتجلَّ على بقعةٍ سواها.
- ✓ وعلى أرضه كَلَّمَ اللهُ موسى تكليمًا.
- ✓ وذَكَرَهُ في القرآنِ العظيم تصريحًا وتلميحًا.
- ✓ ووصف الداخلين فيه بأنهم آمنين.
- ✓ وشرَّفهُ بأن جعل أهله من أوائل الأمم دخولا في الإسلام.
- ✓ ومن هذا الوطن تزوج النبي (ﷺ) من السيدة مارية القبطية.
- ✓ وامتدح النبي (ﷺ) أهل مصر وجند مصر، وأوصى بأهلها خيرا.
- ✓ وفي ثراهُ دُفن عددٌ كبيرٌ من صحابةِ سيدِنا النبي (ﷺ).
- ✓ وفيه عاشَ عددٌ كبير من آلِ بيتِه الكرام، وأيضا من أولياء الله الصالحين.
- ✓ ومنحَهُ اللهُ نهرَ النيل، وهو أحدُ أنهار الجنة.
- ✓ وأكرمَهُ بالأزهر الشريف، ذلكم الشريان الحيوي الذي تنتقل من خلاله علوم الإسلام إلى كل أرض الله، في إطار من الفهم الواعي والدقيق لشرع الله ومقاصدة البانية للمحبة والتسامح والسلام، بعيدًا عن تحريفِ الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين... إنه قبلة العلم الديني وعطيةِ اللهِ لمصرَ والعالم وللأجيال.

وطن كهذا ألا يستحق التكريم؟ ألا نكرم ما كرمه الله؟

الوطن مبنى ومعنى... الوطن قيم وأخلاق.. الوطن تاريخ وحضارة وحاضر ومستقبل... الوطن أمن وأمان وإيمان... الوطن ليس حفنة من التراب كما يصفه الجهلاء... فيا عباد الله، الوطن ليس شعارًا نردده، بل عهدٌ نحمله، ومسؤولية نُؤديها، ونعمةٌ يجب أن نرعاها بشكرها، وصونها، وحمايتها؛ فالوطن تاج فوق الرؤوس، ومن ضيع وطنه، ضيع نفسه ودينه وأمّته. فحافظوا عليه بحبكم، وبعملكم، وباتحادكم، فإن في الأوطان تُبنى الأجيال، وتُصان الرسالات، وتتحقق الكرامات.

الوطن هو الرئة الكبرى التى يتنفس منها الموطنون:

الوطن عزيز جدًّا على الإنسان الوطنى المخلص، فهو الرئة التى يتنفس منها...

وهو الشريان الحيوي الذي يمد الأشخاص بدعائم الأمن والقوة والسكينة والطمأنينة.

وهو مهد الإنسان، ومقر نشأته وتربيته وعبادته، وتعليمه وعمله وزواجه وشيخوخته وفي ثراه يدفن الإنسان ويُكرَّم...

الوطن عزيز على الإنسان وحتى الحيوان!:

- ➢ الوطن ليس غاليا على الإنسان فحسب؛ بل إن الوطن عالي على المخلوقات
- ➢ فالطير يعرف قيمة وطنه ومستقره
- ➢ والحيوان يعرف قيمة مكانه

➢ والنحل يعرف قيمة وطنه

فالطير إذا أُخذ من عشه بذل كل ما في وسعه ليعود إليه، والبهائم تألف أوطانها، فكيف بمن كرّمه الله بالعقل والدين؟.

الوطن أمانة من الأمانات، وحبه واجب

نعم الوطن أمانة عظيمةٌ في أعناقنا... أمانة في رعايته وتنميه وتقويته وخدمته ورعايته وحمايته، فهو أمانة من الأمانات، والله تعالى يقول: (وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ) (المؤمنون: ٨).

وحبَّ الوطن ليس شعاراتٍ تُردَّد، بل هو انتماء عميقٌ يتجلّى في أفعالٍ صادقة تعبّر عن الوفاء، والتضحية من أجل رفعة الوطن وعزّته.

مقاصد الشريعة لا تستقيم إلا فى وطن آمن:

قال العلماء: مقاصد الشريعة وهى:

١. حفظ الدين.
٢. والنفس.
٣. والعقل.
٤. والنسل.
٥. والمال.

كلها لا تستقيم إلا في وطن آمن مستقر.

مجالات حماية الوطن:

إن حماية الوطن لا تقتصر على حمل السلاح فقط، أو الوقوف على الحدود فحسب، بل هى شاملةٌ لكل صور الخير التى تصون الوطن، وتدفع عنه الفتن، وتقوّيه في وجه الأعادي والفساد، وتنميه وتجعل مكانته عالية، ورايته شامخة.

وحماية الوطن مسؤولية جماعية تحفظ بها الكرامة وتُصان بها الحياة.

وقد تنوعت صور الحماية لتشمل الأمن، والأسرة، والقيم، والثروات، والمؤسسات...إلخ في تكامل يرسخ الاستقرار ويصنع النهضة. وفيما يلي أهم مجالات حماية الوطن، التي ينبغي لكل مواطن أن يسهم فيها بصدق وإخلاص:

- حماية الأمن الداخلي.
- حماية الأمن الخارجي.
- حماية القيم الدينية والثقافية.
- حماية اللغة العربية واللسان القومي.
- حماية المقدسات والمواقع التاريخية.
- حماية التاريخ والذاكرة الوطنية.
- حماية المؤسسات الديمقراطية.
- حماية المؤسسات من الفساد والانهيار.
- حماية مؤسسات الدولة من العبث والفساد والانهيار.
- حماية الوحدة الوطنية واللحمة الاجتماعية.
- حماية الأسرة وبنائها على أسس سليمة.
- حماية المرأة والطفل من الاستغلال والعنف والتغريب.
- حماية الأطفال من الاستغلال والتغريب.
- حماية الشباب من الانحراف والتيارات المتطرفة.

- حماية التعليم والمؤسسات التربوية.
- حماية العلم ودعم المؤسسات العلمية.
- حماية الإعلام الوطني من التضليل والاختراق.
- حماية الثقافة والهوية الوطنية.
- حماية الأمن السيبراني والمعلوماتي.
- حماية الرموز الوطنية والدينية.
- حماية الاقتصاد والبنية التحتية.
- حماية المقدرات والثروات والموارد الطبيعية.
- حماية البيئة والتوازن البيئي.
- حماية الصحة العامة والمنشآت الطبية.
- حماية الوطن من التفكك والفتن والصراعات الداخلية.
- حماية الوطن من الجريمة المنظمة والعنف.
- حماية الوطن من الغزو الفكري والثقافي.
- حماية الوطن من الغزو الاقتصادي والتجاري.
- حماية الوطن من الانعزال الدولي أو الذوبان في الآخر.
- حماية العلاقات الدولية ومكانة الوطن عالميًا.

واجبات المسلم تجاه وطنه

أيها المسلم، كن نافعًا لوطنك، وشارك في عزه بإتقانك وأخلاقك، ولا تكن عبئًا عليه:

١. أدِّ عملك بإخلاص.
٢. لا تضرّ مرافقه.
٣. كن نزيهًا في معاملاتك.
٤. اغرس في أولادك معاني الانتماء.
٥. ادعو لوطنك بالخير والصلاح والقوة والنماء والرخاء والاستقرار والازدهار.
٦. اعمل على نهضته بما يقدر عليه.
٧. عليك بالذود عنه بما تستطيع.
٨. قم بتربية النشء على الوفاء والانتماء والمسؤولية.

فمن أحبّ وطنه بحق، لم يخنه، ولم يُفسده، ولم يُضيّع مقدراته.

حماية الوطن مسؤولية جماعية

الأمن ليس مسؤولية الجند فقط، بل إنه مسؤولية جماعية:

- **الأم** تحمي الوطن بتربية أبنائها على الانضباط.
- **والأب** يحميه بكسب الحلال.
- **والمعلم** يحميه بالتعليم الصادق.
- **والإمام** يحميه بالكلمة الهادفة.
- **والشاب** يحميه بسلوك نظيف. وهكذا دواليك.

كيف نحافظ على أمن أوطاننا؟

١. بالإيمان والعمل الصالح.
٢. بالبعد عن الشائعات، والتحقق من الأخبار.
٣. بتجنب الفتن، والوقوف صفًا واحدًا خلف قيادتنا وجيشنا وأمننا.
٤. مواجهة التخريب والفساد.
٥. بتربية النشء على الانتماء وعلى البناء.

مشروعية الدفاع عن الأوطان

لقد قرر القرآن الكريم مشروعية الدفاع عن الديار والأوطان، وربط ذلك برفع الظلم ونصرة الحق، فقال تعالى: (أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ. الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ) (الحج: ٣٩-٤٠).

وقال سبحانه: (وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ. إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ۚ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ) (آل عمران: ١٣٩-١٤٠).

فالدفاع عن الوطن دفاع عن الدين، وفي ضياع الأوطان تضيع المساجد، وتُهدر الكرامات، ويُشرَّد العباد.

التضحية في سبيل الوطن تجارة رابحة

إن التضحية من أجل الوطن بيعٌ رابح مع الله، قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ۚ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ۚ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) (التوبة: ١١١).

وما أعظم منزلة المرابطين الذين سهروا لتأمن الأمة، وبذلوا أرواحهم ليحيا غيرهم، عنهم يقول (ﷺ): (عَينانِ لا تَمَسَّهما النَّارُ: عينٌ بكت من خشيةِ اللهِ، وعينٌ باتت تحرسُ في سبيلِ اللهِ) (٨).

وقال (ﷺ): (رِباطُ يومٍ ولَيْلَةٍ خَيْرٌ مِن صِيامِ شَهْرٍ وقِيامِهِ، وإنْ ماتَ جَرَى عليه عَمَلُهُ الذي كانَ يَعْمَلُهُ، وأُجْرِيَ عليه رِزْقُهُ، وأَمِنَ الفَتّانَ) (٩).

الإيثار أساس بناء الأوطان

ليست التضحية في التضحية بالأرواح فقط وإن كانت هي أعلى وأثمن وأغلى أنواع التضحية، بل هناك أنواع أخرى منها: إيثارٌ، وبذلٌ، وإبداع في ترقية الحياة وتقديمٌ للمصلحة العامة.

وقد خلد القرآن موقف الأنصار حين آووا ونصروا، فقال: (وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (الحشر: ٩).

وقال الشاعر:

وللأوطان في دم كل حرٍّ *** يدٌ سلفت ودَينٌ مستحقُّ
ولا يبني الممالك كالضحايا *** ولا يُدني الحقوق كمثل حقِّ

(٨) أخرجه الترمذي في سننه – حسن.
(٩) أخرجه الإمام مسلم في صحيحة عن سيدنا سلمان الفارسي رضي الله عنه، وهذا الحديث من أفراد مسلم على البخاري.

التضحية في الواقع المعاصر: مسؤولية الجميع

من صور التضحية في زماننا

إن التضحية من أجل الوطن في زماننا هذا ليست حكرًا على ساحات القتال، بل لها صور متعددة:

- **تضحية العامل والموظف**: بإتقان العمل، وتحمل المسؤولية، وبذل الجهد لرفعة الاقتصاد، وتحقيق الرفاهية للبلاد والعباد.
- **تضحية المعلّم والمربي**: ببناء الإنسان الصالح النافع الرافع لأمته، وبناء الوعي، وتحصين العقول، وتربية الأجيال على الانتماء.
- **تضحية عامة الناس**: بالحفاظ على المال العام، وكف الأذى، واحترام النظام، ووحدة الصف وترقية الحياة.

الوحدة والتكافل صمام الأمان

تذكروا قول نبيكم (ﷺ) قال: (إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا. وشَبَّكَ أَصَابِعَهُ) [١٠]. يا له من تشبيهٍ نبويّ جميلٍ وجليل..! إذ يحمل حرارة الإيمان وبلاغة التذكير النبوي العظيم.

فإذا تكاتفنا، كنا حصنًا منيعًا لا ينفذ منه عدو ولا حاقد، ولا تنخره فتنة، فالعطاء للوطن شرف، والوفاء له أمانة.

وقال الشاعر:

بلادي هواها في لساني وفي دمي *** يمجّدها قلبي ويدعو لها فمي
ولا خير فيمن لا يحب بلاده *** ولا في حليف الحب إن لم يتيمِ

عهد ووفاء أمام الله

فلنعاهد الله أن نكون حراسًا لأوطاننا، كلٌّ في موقعه: بلسانه، وقلمه، وعمله، وبذله، وخلقه، وإخلاصه.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، واحفظ أوطاننا من كيد الكائدين.

اللهم من أراد ببلادنا خيرًا فوفقه لكل خير، ومن أراد بها سوءًا فاجعل كيده في نحره.

اللهم ارحم شهداءنا الأبرار، واحفظ جنودنا المرابطين، وثبّت أقدامهم.

قال تعالى: (... رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ) (البقرة: ٢٠١). .

(إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) (النحل: ٩٠). أيها الأخوة المؤمنون: أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على مَن لا نبي بعده، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن سيدنا محمدًا (ﷺ) رسولُ الله.. عباد الله: أوصيكم ونفسي بتقوى الله.. يقول الحق (تبارك وتعَالَى): (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ) (آل عمران: ١٠٢).

من فضائل شهر شعبان

ولنا في شهر شعبان وقفة... كأن شهر رجب هو الريح، وشعبان هو الغيم، ورمضان المطر والغيث..

ويقال: رجب شهر الزرع، وشعبان شهر السقي، ورمضان شهر الحصاد..

(١٠) أخرجه البخاري في صحيحه.

أيها المؤمنون: كان النَّاس في الجاهليَّة يفضِّلون شهرَ رجب على سائر الشهور ويعظمونه، وكان المسلمون يفضِّلون شهرَ رمضان المبارك ويعظمونه، والنَّبي (ﷺ) بيَّن لنا فضلَ شهر شعبان. فعَنْ السيدة عَائِشَة (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا)، قَالَتْ: كانَ رَسولُ اللَّهِ (ﷺ) يَصُومُ حتَّى نَقُولَ: لا يُفْطِرُ، ويُفْطِرُ حتَّى نَقُولَ: لا يَصُومُ، فَما رَأَيْتُ رَسولَ اللَّهِ (ﷺ) اسْتَكْمَلَ صِيَامَ شَهْرٍ إلَّا رَمَضَانَ، وما رَأَيْتُهُ أكْثَرَ صِيَامًا منه في شَعْبَانَ[١١].

وعن أسامة بن زيد (رَضِيَ اللَّهُ عَنْه) قلتُ يا رسولَ اللهِ لم أرَكَ تصومُ من شهر من الشُّهور ما تصومُ شعبانَ قال: (ذاك شهرٌ يغفَلُ النَّاسُ عنه بين رجبَ ورمضانَ وهو شهرٌ تُرفعُ فيه الأعمالُ إلى ربِّ العالمين وأُحِبُّ أن يُرفعَ عملي وأنا صائمٌ) [١٢]. وكان شهر شعبان من أكثر الشُّهور الَّتي يَصومُ فيها رسول الله (ﷺ)، فكان يَصومُ غالِبَه؛ وإنَّما كان يُكثِرُ مِن الصِّيامِ في شَهرِ شَعبانَ خُصوصًا؛ لماذا؟

١. **لأنَّه شهرٌ تُرفَعُ فيه الأعمالُ لربِّ العالَمين، أي أن الملائكة تَرفع صحائف النَّاس إلى الله، وكان (ﷺ) يُحبُّ أن يرفَعَ عملُه وهو صائم.. وإذا كانت الأعمال ترفع إلى الله فماذا تريد أن يرفع إلى الله منك؟ فيحب أن ترفع وهو صائم، فترفع الأعمال على أحسن أحوالها. ورَفْعُ الأعمال إلى الله تعالى مع كونه صائمًا أدْعَى إلى القبول عند الله تعالى.**

٢. **كما أنَّه شهرٌ يَغفُلُ عنه كَثيرٌ من النَّاس بيْن رجَبَ ورَمَضانَ، وإن العمل الصالح في أوقات الغفلة أشق على النفوس، ومن أسباب أفضلية الأعمال مشقتها على النفوس.**

٣. **وفي هذا الشَّهر ليلةٌ مباركة هي ليلةُ النِّصف من شعبان.**

٤. **في شعبان تم تحويلُ القبلة، وهو حدثٌ عظيم في تاريخ الأمة الإسلامية.**

قال ابن رجب رحمه الله: صيام شعبان أفضل من صيام الأشهر الحرم، وأفضل التطوع ما كان قريب من رمضان قبله وبعده، وتكون منزلته من الصيام بمنزلة السنن الرواتب مع الفرائض قبلها وبعدها وهي تكملة لنقص الفرائض، وكذلك صيام ما قبل رمضان وبعده، فكما أن السنن الرواتب أفضل من التطوع المطلق بالصلاة فكذلك يكون صيام ما قبل رمضان وبعده أفضل من صيام ما بَعُد عنه.

اللهم اجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

قراءة جديدة في دروس تحويل القِبْلَة

وكيف نوظف عطاءات الله فيها لمواجهة التحديات المعاصرة؟

التوبة والدعاء والتعلق بحبال الله والأخذ بالأسباب..

طريقنا لمواجهة التحديات

نعيش اليوم في ظروف عالمية غامضة، نواجه تحديات عظيمة، تريد أن تعصف بالمنطقة، وليس لنا ملجأ إلا الله... فعليه وحده الاتكال، وإليه وحده المفر.

وفي هذه الظروف علينا أن نلجأ إلى الله (جل وعلا) لجوءا صادقا

أن نعود إليه عودا صادقا

أن نتوب إليه توبة صادقة

[١١] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه.

[١٢] أخرجه الإمام المنذري في الترغيب والترهيب.

أن ندعوه ونرجوه دعاء صادقا
فلا مفر إلا إليه
ولا سند إلا منه
ولا عون ولا مدد ولا قوة إلى منه

فلنلجأ إليه جميعا بقلوب صادقة، ولنَعُد إليه عودةً نصوحًا، ولنتب إليه توبةً خالصة، ولنرفع أكف الضراعة إليه بصدق وإخلاص، فإنه "لا ملجأ ولا منجى منه إلا إليه".

اللهم قونا بك، وثبتنا على طاعتك، وردنا إليك ردًا جميلًا ظاهرًا وباطنًا يا رب العالمين.

اللهم من أراد بمصرنا أو بلادنا شرًّا، فاشغله بنفسه، وأشغله بأهله وبلده، وأدر دائرة السوء عليه، يا قوي يا متين.

اللهم اجمع شمل الأمة، وأعنّا على مواجهة الفتن، ومكائد الأعداء، واجعلنا من عبادك الصادقين، يا جبار السماوات والأرض.

أيها الموحدون:

رددوا معي بخشوع وخضوع وذلة وانكسار لله رب العالمين...تُبنا إلى الله، ورجعنا إلى الله، وندمنا على ما فعلنا، وعزمنا عزمًا أكيدًا صادقًا على ألا نعود إلى المعاصي أبدًا، وبرئنا من كل دين يخالف دين الإسلام، طرقنا بابك يا الله وقد علمنا أنك لا ترد مَن جاءك، ولا تخيب من رفع يديه إليك، فاجبر كسرنا، واحفظ جيشنا وأمننا وشعبنا، ووقف قادتنا لكل خير، واربط على قلوبهم يا رب العالمين... اللهم ادحر من أراد بنا شرًّا، اللهم اجعل كيدهم في نحروهم، واجعل تدبيرهم في تدميرهم... يا قادر يا قادر يا قادر... اللهم اجمع شمل الأمة على طاعتك والقرب منك ومرضاتك يا رب العالمين. اللهم ادفع عنا كيد الكائدين، ورد عنا شر الحاقدين، ولا تجعل لهم علينا سبيلًا، يا من لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.

تحويل القِبْلَة

عباد الله:

نتحدث هنا عن ذكرى عظيمة، اختبر الله (سبحانه وتعالى) بها إيمان عباده، وامتحن بها صدق قلوبهم، إنها حادثة تحويل القِبْلَة، ذلكم التحول العظيم الذي نقل قبلة المسلمين من بيت المقدس إلى البيت الحرام، تنفيذًا لأمر الله، وإعلاءً لشأن هذه الأمة التي اصطفاها الله لتكون خير الأمم وشاهدة على الآخر.

- إن تحويل القِبْلَة لم يكن مجرد تغيير في الاتجاه.
- بل كان درسًا بليغا في الطاعة والامتثال.
- وابتلاءً أظهر المؤمن الصادق من المنافق الكاذب.

قال تعالى: (سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ. وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ. قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ۗ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ) (البقرة: ١٤٢-١٤٤).

مكانة القِبْلَة في الإسلام:

القِبْلَة في الإسلام لها مكانة سامية وسامقة ورفيعة، فهي ليست اتجاها جغرافيا نتجه إليه، بل لها رمزية كبيرة جدا، تتضح فيما يلي:

١. أهمية القِبْلَة في تنظيم العبادة

فالقِبْلَةُ توحد اتجاه المسلمين في الصلاة، وتجنب الفوضى والاختلاف في تحديد الجهات، وتحافظ على وحدة المسلمين وشعائرهم.

٢. وجوب استقبالها في الصلاة

جعلها الشرع الشريف شرطًا لصحة الصلاة، فلا تصح الصلاة بدون التوجه إليها.

٣. استحباب استقبالها في الدعاء

من آداب الدعاء التوجه نحو القِبْلَة.

٤. تحريم استقبالها أو استدبارها عند قضاء الحاجة، والنهي عن البصاق في اتجاهها

وذلك تعظيمًا لقدسيتها ومكانتها، فعن أبي أيوب الأنصاري (رضى الله عنه) أنَّ النبيَّ (ﷺ) قالَ: (إذَا أتَيْتُمُ الغَائِطَ فلا تَسْتَقْبِلُوا القِبْلَةَ، ولَا تَسْتَدْبِرُوهَا ولَكِنْ شَرِّقُوا أوْ غَرِّبُوا) (١٣).

٥. استقبالها في الموت كما في الحياة

تُؤدى صلاة الجنازة باتجاهها، ويُدفن الميت مستقبلًا إياها.

الفرز والانتقاء والغربلة والتنخيل (١٤)؟

أراد الله (سبحانه وتعالى) أن يُنقى صفوف المسلمين من الغث ومن المنافقين، فحدثت غربلتان أساسيتان في عهد النبي (ﷺ). واحدة في مكة، وأخرى في المدينة.

الغربلة الأولى: حدثت في مكة، وكانت بعد رحلة الإسراء والمعراج، فبعد هذه المعجزة الفريدة التي رأى النبي (ﷺ) فيها من آيات ربه الكبرى، وأخبر المسلمين بذلك. فكانت اختبارًا حاسمًا لصدق الإيمان، وشاء الله أن يكشف للنبي (ﷺ) حقيقة القلوب، فيميز المؤمن الصادق من المنافق الكاذب. فجاءت هذه الغربلة لتنقية الصفوف، في وقت كان النبي (ﷺ) يستعد فيه للهجرة إلى المدينة المنورة، إذ لا يصلح لهذه الهجرة العظيمة بكل ما فيها من تضحيات إلا رجالٌ ذوو قوةٍ، وبأسٍ شديد، وإيمانٍ راسخ، يضحون بكل شيء في سبيل هذا الدين العظيم.

---

(١٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه.

(١٤) الفرز والانتقاء والغربلة والتجنيب في الأمم السابقة:

يقول الحق تبارك وتعالى: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا ۖ قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٢٤٦) وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ۖ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٤٧) وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ٢٤٨) فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ ۚ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ۚ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (٢٤٩) وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٢٥٠) فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ) (البقرة: ٢٤٦-٢٥١)، وهكذا حدث لهم أكثر من اختبار للفرز والتجنيب، (فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ)، (فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ)، (قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ)، (قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (٢٤٩) وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ).

فاقتضت حكمة الله أن تتم هذه التصفية، ويقع الفرز والانتقاء والغربلة والتنخيل والتجنيب في هذا المنعطف المصيري من تاريخ الإسلام.

فبعد هذه الرحلة كشف اللهُ (تعالى) المنافقينَ الذين ارتدوا على أعقابهم... وكانوا قلَّة قليلة؛ ولكنها قلَّة مؤسفة!.. نعم قلَّة مؤسفة مِن الذين لم يؤمنوا على وجه الحقيقة بقدرة الله تعالى وقوته وعظمته، ولم يستوعبوا حقيقة المعجزة التي سجلها القرآن العظيم بجلاء في سورتي: الإسراء والنجم، وفصَّلت السُّنةُ الشريفةُ أحدَاثَها، وأجمعت الأمةُ على التصديق بها، وتعبدت بما أَوحى الله (سبحانه وتعالى) فيها لنبيه الكريم، وشرعه على المسلمين وهو الركن الأعظم من أركان الإسلام (الصلاة) التي فرضها الله مباشرة في السماء؛ لعلو مكانتها وسموق قدرها. كما جاءت هذه المعجزة لتكرم المؤمنين الصادقين، وترفع درجاتهم في الدنيا والآخرة.

جاءت هذه الغربلة تهيئةً للهجرة العظيمة، التي لم يكن لها أن تتم إلا برجالٍ باعوا أنفسهم لله، مستعدين للتضحية بكل شيء في سبيل هذا الدين. فاقتضت حكمة الله أن يقع التمحيص في هذه اللحظة الحرجة، حيث لم يُقدم على الهجرة إلا الصادقون، بينما سقط المتخاذلون وانكشف المنافقون، حتى لا يكونوا عائقًا في طريق بناء الأمة.

والغربلة الثانية: حدثت في المدينة المنورة بعد تحويل القِبْلَة، في وقت مهم جدًّا، إذ تنتقل فيه الدعوة من مرحلة إلى مرحلة..

من مرحلة الصبر وتحمل إيذاء (المشركين) في مكة، إلى مرحلة المواجهة الواضحة والصريحة مع (اليهود، والمشركين، والمنافقين) في المدينة... تمهيدا لبناء دولة الإسلام الفتية القوية التي تتطلب رجالا من عشاق المبادئ.

نعم كانت عملية اختبار واختيار، وفرز وغربلة وتنخيل وتجنيب، تنقي صفوف المسلمين من المنافقين، وتفرق بين الصادق والكذوب، **لاسيما وأن المسلمين الأوائل هم البذور الأولى التى تحمل أنوار التوحيد ومشاعل الهداية، ودعوة الخير إلى العالمين**؛ فكان لابد من انتقائهم من أفضل العناصر، وإعدادهم إعدادا يليق بمكانة رسالة النور... رسالة الرحمة... ودعوة الحق إلى العالمين.

لقد كان هذا الحدث اختبارًا عمليًّا، أظهر حقيقة القلوب، وفصل بين الصادق والكاذب.

لذلك جاءت معركة بدر بعد تحويل القِبْلَة واستقلال الشخصية المسلمة.

وتتجلى في معركة بدر قوة (٣١٤) رجل من المسلمين الصادقين المنتقين، الذين هزموا ثلاثة أضعاف أعدادهم من المشركين، بمدد الله وقدرته وعونه؛ ليثبتوا أن النصر لا يكون بكثرة العدد، بل إنه من الله، مع الأخذ بالأسباب وصدق الإيمان وقوة اليقين.

مراحل توجه المسلمين للقبلة

(كيف كانت البداية؟ وكيف كان التحول النهائي ولماذا؟):

اتجه المسلمون في صلاتهم إلى بيت المقدس ثلاثة أعوام تقريبا، نصفها قبل الهجرة، ونصفها في المدينة

أولا: ففى بداية الإسلام كان النبى (ﷺ) والمسلمون في مكة يصلون في الكعبة بين الركنين وهم يستقبلون بيت المقدس.

ثانيا: ولما هاجر النبى (ﷺ) والمسلمون إلى المدينة، تعذر الجمع بين الكعبة وبيت المقدس إذ المدينة في الوسط بينهما، فأمره الله (عز وجل) أنْ يُصلى متوجهًا في قبلته إلى بيت المقدس، ففرح اليهودُ بذلك، وقالوا: إذا كان محمد قد صلى لقبلتنا فسيتبع ملتنا...

مع الأخذ في الاعتبار أنَّ أمْرَ الله لنبيه (ﷺ) والمسلمين بالتوجه نحو بيت المقدس لم يكن تودداً لليهود وأهل الكتاب كي يدخلوا في الإسلام كما يزعم الواهمون، كلا.. فالله تعالى لا ينفعه إسلام المسلم، ولا يضره كفر الكافر، ولو شاء الله لجعَلَ النَّاسَ كلهم مسلمين.

ولكن كان ذلك لحكم كثيرة، منها:

- أنَّ الاتجاه في القِبْلَة يعود إلى إرادة الله (تعالى) وأمره وليس إلى إرادة أحد.
- اختبار إيمان المؤمنين وتمحيصهم.
- وأن ينزع الله من عقول العرب وقلوبهم أن الكعبة بيتهم يفعلون فيها ما يشاءون، بل هى بيت الله الذي سيكون قبلة للعالمين فيما بعد.
- وأن يُدخل بيت المقدس في مقدسات المسلمين الغالية التى يلزمهم أن يحافظوا عليها ويذودوا عنها بأموالهم وأنفسهم، ويخرجوا منها عدو الله وعدوهم...

ثالثا: لقد ظلَّ الرسول (ﷺ) يصلى إلى هذه القِبْلَة ستة عشر شهرًا أو سبعة عشر شهرًا، وهو في غاية الشوق إلى الصلاة تجاه البيت الحرام الذي تربى في رحابه ونشأ حوله.. والله يعلم ما يدور في خلده، وما يجيش في صدره.. وهو يقلب بصره في السماء رجاء تحويل القِبْلَة إلى الكعبة، إلا أن أدبه مع الله منعه من الدعاء.

ويسجل الله هذه الإشارات الإيمانية، يقول تعالى: (قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاء فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ) (البقرة:١٤٤).

صدور الأمر الإلهي بتحويل القِبْلَة ودلالته

جاء الأمر الإلهى لنبيه بالتحول في قبلته تجاه البيت الحرام، جبرا لخاطر النبى العظيم، حيث تاقت إليها نفس النبى (ﷺ)، الذي كان يقلب وجهه في السماء منتظرًا تحققها.

وجاء هذا التحويل بعد أن:

١. **اشتد حنين النبي(ﷺ) والمسلمين إلى مكة**، تلك البلدة التى وُلد فيها، ونزل عليه الوحى لأول مرة في رحابها، وفيها بيت الله الحرام.

٢. **تحققت الأهداف المنشودة من التوجه نحو بيت المقدس**، مع الأخذ بعين الاعتبار أن إمامة النبى للسادة الأنبياء ليلة الإسراء والمعراج في المسجد الأقصى كانت إشارة وبشارة للنبى والمسلمين، وكانت إعلانا للعالمين أن الإمامة والنبوة انتقلت من بنى إسرائيل إلى بنى إسماعيل.

٣. **ترسخ ارتباط المسلمين بالمسجد الأقصى المبارك** الذي باركه الله وبارك حوله، ذلك أن صلاة النبى والمسلمين تجاه بيت المقدس زادت من تعلقهم به.

كيف تحول المسلمون للقبلة؟

عندما صدر الأمر الإلهى لنبيه بالتحول في قبلته تجاه البيت الحرام، وكان أول صلاة صلاها الرسول (ﷺ) والمسلمون إلى الكعبة صلاة العصر.

وصلى معه قوم، فخرج رجلٌ ممن كان قد صلى معه، فمرَّ على أهل مسجد وهم راكعون، فقال: أشهد بالله لقد صليت مع رسول الله (ﷺ) تجاه مكة المكرمة.

وهنا نلحظ صدق المؤمنين، وكمال طاعتهم لله ولرسوله (ﷺ) وانقيادهم التام –دون جدال أو مراء– فداروا كما هم تجاه البيت الحرام وهم في صلاتهم، فسُمِّي هذا المسجد بمسجد القبلتين وهو مسجد بنى سلمة الذي خلده التاريخ بهذا الحدث الجليل...

لماذا كان التوجه في القبلة إلى مكة المكرمة بالذات؟

مكة المكرمة لها مكانة كبيرة جدا، فهى:

١– أحب بلاد الله إلى الله (تعالى) وإلى سيدنا رسول الله (ﷺ).

٢– جعلها الله مقرا للمسجد الحرام وهو أول مسجد وضع في الأرض (إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ) (آل عمران: ٩٦). (قبلة الموحدين في كل مكان).

٣– وهى البقعة التى سكنها أبو البشرية آدم وزوجه حواء ثم ماتا فيها.

٤– مسقط رأس سيدنا رسول الله (ﷺ) ومحضن طفولته، ومواطن ذكرياته، ومهد الدعوة، وأول مهبط الوحى، وبها زمزم وعرفات، ومنها الخلفاء الراشدون، والمسلمون الأولون.

٥– مقصد الناس من كل مكان في الصلاة والحج.

فاستحقت مكة بتلك الخصائص السابقة والحكم والأسباب السالفة أن تكون إليها القِبْلَة دون غيرها.

ماذا حدث من المنافقين بعد تحويل القِبْلَة؟

وبعد تحويل القِبْلَة حصل لبعض السفهاء من الناس من أهل النفاق والريبة، زيغ، –وما أشبه الليلة بالبارحة– وقالوا كما كما حكى القرآن عنهم: (مَا وَلاَّهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِى كَانُواْ عَلَيْهَا) (البقرة:١٤٢)، أي ما لهؤلاء المسلمين تارة يستقبلون كذا وتارة يستقبلون كذا.

فأنزل الله قوله: (قُل لِّلّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاء إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيم) (البقرة:١٤٢).

من الحكم السامية والأسرار الكامنة من وراء هذا التحويل

وحين نبحث عن "الحكم السامية والأسرار الكامنة" من وراء هذا التحويل سنجد ما يلى:

- أن الله أراد أن يجمع لنبيه محمد (ﷺ) بين قبلة أبيه إبراهيم وأخيه إسماعيل، وقبلة بنى إسرائيل؛ للتدليل على أن الإسلام جاء مهيمنًا على الرسالات السابقة عليه، إذ لو كانت قبلة النبى (ﷺ) إلى مكة ابتداء وانتهاء لقيل: إنه ورث قبلة جده إسماعيل، وإن رسالته خاصة بأهل الجزيرة دون سواهم.
- قد فرضت الصلاة عندما كان المسلمون في مكة، فكانت قبلتهم إلى الأقصى؛ وفي هذا تمييز للمسلمين عن المشركين الذين كانوا يتوجهون إلى الكعبة.
- وتحويل القِبْلَة إلى الكعبة تم بعد استقرار المسلمين في المدينة؛ وفي هذا تمييز لهم عن يهود المدينة الذين كانوا يستقبلون بيت المقدس.
- كما كان التحويل مفاضلة أريد بها تحقيق نوع من الاستقلالية للمسلمين؛ ذلك أن لكل أمة قبلتها، فإذا كانت اليهود تستقبل بيت المقدس في صلاتها، والمسيحيون يستقبلون المشرق، فإن المسلمين يستقبلون الكعبة.
- لقد شرف الله الأمة الإسلامية بالصلاة إلى القبلتين، وكرمهم بإرث المسجدين، فجمع لهم بين قبلة الفرع – يعقوب– وقبلة الأصل –إبراهيم–، وهذا شرف وتكريم لم تنله أمة سابقة، فقد صلى المسلمون إلى القبلتين وهم في مكة حيث كانوا يستقبلون القدس، والكعبة بينهم وبينها، فلما هاجروا إلى المدينة كانوا يستقبلون القدس

فحسب، فلما حُولَت القِبْلَة صاروا يستقبلون الكعبة، فاجتمع لهم بهذا حال الجمع والإفراد لكلتا القبلتين" (١٥).

وهكذا فإن:

- الكعبةَ المشرفة قبلة المسلمين جميعًا، فهى قبلة أهل المسجد
- والمسجد الحرام قبلة أهل الحرم
- والحرم قبلة المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها إلى أنْ يرث الله –تعالى– الأرضَ ومَنْ عليها.

قال تعالى (وَلِكُلّ وجْهَةٌ هُوَ مُوَلّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِن رَّبّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ .وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاس عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) (البقرة:١٤٨–١٥٠).

جزاء المسلمين الذين ماتوا قبل تحويل القِبْلَة؟

بعد تحويل القبلة إلى مكة المكرمة حزن المسلمون على إخوانهم الذين ماتوا على الإسلام قبل تحويل القِبْلَة مخافة ألا تُتَقبل أعمالهم.

وهنا تأتي البشارة من الله الرحيم، بقوله:(وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ) (البقرة:١٤٣).

أهم الدروس والعبر من تحويل القِبْلَة

أولا: من دروس تحويل القبلة أن الله تعالى أراد أن يدربنا على السمع والطاعة، ونبتعد عن الخلافات والمراء والقيل والقال.

ثانيا: كمال طاعة المؤمنين لله ولرسوله (ﷺ) وانقيادهم التام -دون جدال أو مراء- لأوامر الله -عز وجل- فداروا كما هم تجاه البيت الحرام وهم في صلاتهم.

ثالثا: أن الأحداث الكبيرة دائما ما تكشف أصحاب المعادن النفسية، وتكشف المنافقين الكاذبين.

رابعًا: كان تحويل القِبْلَة إلى الكعبة تمهيدًا لتحريرها، وكان تحريرها إعلانًا للزعامة الروحية والقيادة الفعلية للعرب، وكانت تلك الزعامة الحقة سببا في لم شمل العرب وتوحيد صفوفهم؛ مما أسهم في نشر الإسلام ووصول نوره إلى العالمين.

خامسا: أن الله سبحانه وتعالى جعل أمتنا خير الأمم وجعلها وسطا وجعلنا شهداء على الأمم.

سادسا: نتعلم من تحويل القبلة، الأدب مع الله، وجبر الخواطر، كما تفضل ربنا لنبيه وللمسلمين.

سابعا: تحويل القِبْلَة: درس فى وحدة الصف الإسلامى، ودرس في الطاعة والاستجابة لله، ودرس في التخطيط والأخذ بالأسباب، ودرس في مواجهة التحديات بوحدة الهدف والغاية

ثامنا: التحذير من التبعية في كل شئ لمن ليسوا من دين الله على شئ، قال تعالى: (وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلّ آيَةٍ مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ) (البقرة: ١٤٥)

(١٥) تحويل القِبْلَة أسرارٌ وحِكَم للشيخ محمد مبروك الشيلاني

تاسعا: تأكيد وحدة الرسالات وتواصل حقائق الوحي الإلهي قال تعالى: (قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) (البقرة: ١٣٦).

عاشرا: إعلان وراثة النبوات السابقة وانتقال القيادة الروحية من بنى إسرائيل إلى بنى إسماعيل، قال تعالى: (وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ ۚ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي ۖ قَالُوا أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ) (آل عمران: ٨١).

حادي عشر: تأكيد الربط بين العاصمتين المقدستين مكة والقدس وإعلان مسؤولية المسلمين في حماية المقدسات.

ثاني عشر: تحديد المرجعية العليا في العقائد والأخلاق والقيم والتصورات.

ثالث عشر: إعلان بداية مرحلة الشهود الحضاري للأمة المسامة

وهكذا نحن في حاجة ماسة إلى تحديد الأولويات، فكما كانت القِبْلَة قضية مركزية للمسلمين، يجب أن نحدد القضايا الكبرى التي تتطلب التكاتف الإسلامى. وإعادة روح الأخوة الإسلامية، بحيث يشعر المسلم في أي مكان أنه جزء من أمة واحدة. ومواجهة حملات تشويه الإسلام ومجابهة التحديات التى تواجه المسلمين وبلادهم بوعى وثقافة، وعدم الانسياق وراء الفتن والانقسامات.

وذلك من خلال تصحيح علاقتنا بـ:

الله سبحانه وتعالى

- بتجديد العهد مع الله بالإخلاص والطاعة.
- وتقوية الصلة به عبر العبادة الخاشعة والعمل الصالح.
- واستحضار معانى التوكل والتسليم لحكمه، والثقة في تدبيره.
- ونشر قيم المحبة والتسامح، ونبذ الفرقة والخلاف وإحياء روح التعاون والتكافل، والعمل على بناء مجتمع متماسك، يسوده الانسجام والوحدة
- وتعزيز مبادئ العدل والإحسان في المعاملات.
- والارتقاء بالذات عبر مجاهدة الهوى والتزكية المستمرة.
- والسعى لتطوير القدرات، واستثمار المواهب في ما ينفع الأمة.
- وتحقيق التوازن بين الجسد والروح، وبين الطموح والرضا، لصناعة إنسان فاعل قادر على الإسهام في نهضة أمته.

كما كان تحويل القبلة رمزًا للوحدة والانطلاقة نحو التمكين، فإننا اليوم بحاجة إلى تحولات واعية، تعيد ترتيب أولوياتنا، وتوحد صفوفنا، ليعود المسلمون كما كانوا: بناة حضارة، وقادة خير، وصنّاع مستقبل.

كيف نوظف عطاءات اللّه في تحويل القِبْلَة لمواجهة التحديات المعاصرة؟

التاريخ هو ذاكرة الأمم والشعوب، وهو مستودع تجاربها ومعارفها وخبراتها ومنه نستمد الدروس والعبر، يمتد عبر المكان بعمقه واتساعه، وعبر الزمان باستطالته ماضيًا وحاضرًا ومستقبلًا.

والمسلم الحق ليس مجرد متفرج على صفحات التاريخ، يقف على هامشه يراقب المد والجزر في مجريات الأحداث، بل هو فاعل مؤثر، ومحرك للأحداث ومؤثر فيها، إنه ذلك الإنسان الذي يمتلك الإرادة والقرار، فيرسم مسار التاريخ، ويدفع عجلاته إلى الأمام، يتعلق بالله، ويأخذ بالأسباب، ويتوكل على رب الأرباب

ومن هنا، رأينا عبر العصور رجالًا لم يكونوا مجرد أرقام في صفحات الماضى، بل تركوا بصماتهم العظيمة، وغيّروا مسار التاريخ، بل كانوا ميدانًا لصياغة المصير، ندعوا الله أن يوفق قائدنا وقادتنا لكل خير، وقوهم بمددك وعونك يا جبار.

عناصر تكوين التاريخ:

١. وحدات زمنية تقدر بالسنين، تُسجِّل الأحداث والأحوال والمتغيرات.

٢. أحداثٌ كبرى تشكّل معالم التاريخ، تتراوح بين النهضة والانحطاط، والتقدم والتراجع.

٣. رجالٌ يصنعون المجد، إذ يكون لكل حدثٍ أبطاله الذين يتخذون مواقف حاسمة، تحدد مصائر الأمم.

إن الرجال الذين يكتبون التاريخ بمواقفهم لا تحركهم المصالح العارضة، بل تحركهم عقيدة راسخة، ومبادئ يعيشون بها ولها .وهم مستعدون لبذل الغالي والنفيس، والتضحية بأرواحهم في سبيل الحق، لأنهم يدركون أن التاريخ لا يخلّد المترددين، ولا يسجّل أسماء العابرين، بل يُنصف أصحاب العزائم الكبيرة.

والرجال الذين يصنعون التاريخ بمواقفهم تحركهم عقائد يدينون بها، وتدفعهم إلى قمة القيادة مبادئ يعيشون بها، ولها ومن أجلها (التزاما وسلوكا في حياتهم، ويعيشون لها عطاء وتضحيات تصل في كثير من الأحيان إلى حد المخاطرة الجريئة بالنفس والحياة في سبيلها).

وها نحن في هذا الوقت العصيب نرى مصرنا العظيمة بقيادتها الواعية المؤمنة الحكيمة، تضرب أروع الأمثلة في ثباتها على المبدأ ووقوفها ضد الظلم، وضد الشر، مستعينة بالله على الظالمين.

أكبر عطاءات تحويل القبْلَة:

لعل من أكبر العطاءات والمنح والهبات التى امتن الله تعالى بها علينا في تحويل القِبْلَة، أنه سبحانه وحَّد قبلة المسلمين في كل مكان، من لدن لحظة تحويلها إلى قيام الساعة، وستظل كذلك إلى أن يقوم الناس لله رب العالمين...

والقِبْلَة الواحدة التى وحدها الله ترمز إلى:

وحدة الأمة التى تنبثق منها:

- قوة الأمة
- هوية الأمة
- عزة الأمة
- تكريم الأمة
- بقاء الأمة
- وحدة الرسالة، وحدة الرسول، وحدة الهدف والغاية

وفي ظل التحديات الخطيرة التى تستهدف كيان الأمة، وزعزعة أمنها وأمانها واستقرارها، وفي ظل التهور الحادث الذي حلَّ بالعالم مؤخرًا... وبئس ما حلَّ!

يجب علينا أن نستلهم معاني تحويل القِبْلَة ودروسها وقيمها ورمزيتها في وحدتنا وقوتنا من أجل مواجهة الشر...
إن لدينا الكثير الذي يجب أن نَفْعَله ونُفَعِّله

- ✓ هل آن الأوان لنصطلح مع الله؟.
- ✓ فهل آن الأوان أن نقلب وجوهنا بصدق في السماء كما قلبها رسول الله بأدب وصدق وإخلاص؟.
- ✓ هل آن الأوان لنطبق منهج الله؟
- ✓ هل آن الأوان لنقتفي أثر النبي (ﷺ) في تعلقه بحبال الله وأخذه بالأسباب؟.

إن درسا واحدا من دروس تحويل القِبْلَة (**وهو وحدة القبلة**) يكفي لتحقيق وحدتنا السياسية والاقتصادية والاجتماعية في مواجهة اللئام...
فعن أبي موسى الأشعري (رضى الله عنه) أن النبي (ﷺ) قال: (المُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كالْبُنْيانِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا. ثُمَّ شَبَّكَ بيْنَ أصابِعِ) (١٦).

الوحدة والقوة والشجاعة يا عباد الله.. وإلا..

ليتنا نجعل من تحويل القِبْلَة نقطة انطلاق جديدة، لتكاملنا وتعاضدنا وتقدمنا وتوحدنا، لمواجهة التحديات التى تستهدفنا، كما كانت نقطة تحول في تاريخ الإسلام.

وعلى المسلمين أن يحذروا التكاسل والدعة والأنانية والاختلاف... فعن ثوبان (رضى الله عنه) أن النبي (ﷺ) قال: (يوشِكُ الأُمَمُ أنْ تَداعَى عليكم؛ كما تَداعَى الأَكَلةُ إلى قَصْعتِها. فقال قائلٌ: ومِن قِلَّةٍ نحنُ يومئذٍ؟ قال: بل أنتم يومئذٍ كثيرٌ، ولكنَّكم غُثاءٌ كغُثاءِ السَّيْلِ، ولَيَنْزعنَّ اللهُ من صدورِ عدُوِّكم المهابةَ منكم، ولَيَقذِفنَّ اللهُ في قلوبِكم الوَهَنَ. فقال قائلٌ: يا رسولَ اللهِ، وما الوَهَنُ؟ قال: حُبُّ الدُّنيا، وكراهيةُ الموتِ) (١٧).

إننا في حاجة ماسة وسريعة إلى:

- نبذ الخلاف بين المسلمين
- وإلى الوحدة الشاملة
- وإلى التكافل والتكامل والتعاضد والتساند الكامل
- وإلى الشجاعة والشهامة
- وإلى استثمار طاقتنا البشرية، وقدراتنا الاقتصادية
- وتوظيف خيرات الله المكنونة في أراضينا وبحارنا في قوتنا ووحدتنا وتكافلنا، ومواجهة ما يحاك لنا بليل بلأ أصبح يُحاك نهارا جهارا!!.

من رسائل الرحمن إلى المسلمين فى كل مكان

قال تعالى: (إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ. وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ. إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ .إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ۚ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ .ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ. ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ .يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ.وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ. فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا

(١٦) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه

(١٧) أخرجه شعيب الأرناؤوط في تخريج سنن أبي داود – حسن

رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ. ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ. إِن تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ ۖ وَإِن تَنتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَعُودُوا نَعُدْ وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ. وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ) (الانفال: ٩-٢١).

الرسالة الأولى من الآيات السابقة: أن الاستغاثة بالله فرض عين على كل مسلم لاسيما في مثل هذه الظروف، فاستغيثوا بالله؛ يغثكم بمدده وقوته وعونه وتوفيقه وجنوده التى نعلمها والتى لا نعلمها.

الرسالة الثانية: أن النصر لا يكون إلا بيد الله تعالى.

الرسالة الثالثة: أن الله يدعونا نحن المسلمين في شتى أنحاء العالم للتماسك (وقفة واحدة)، وأن نأخذ بالأسباب.

الرسالة الرابعة: أن الربط على قلوب قادتنا بيد الله، وندعو الله أن يربط على قلوبهم ويثبتهم ويقويهم.

أيها السادة الدعاة: أشيعوا هذا في مساجدكم وفي صفحاتكم وفي كل مكان...

تأملوا عباد الله في قوله تعالى:

(...أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) (التوبة: ١٣).

وفي وعده الحق: قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ...) (الأنعام: ٦٤).

فالله وحده هو الذي ينجيكم من المخاوف والشدائد، ويكشف الغم والكروب، ويأخذ بأيدينا إلى بر الأمان.

اللهم ردنا إليك ردًا جميلًا، واهدِ قلوبنا إلى طاعتك، واجعلنا من عبادك المخلصين، يا أرحم الراحمين...

اللهم آمين، آمين، آمين.

اعلموا واطمئنوا أن اللّه حصر فى يده:

- الزرق -النصر -التوفيق -المدد - الحكمة -البصيرة -الرشد -التفهيم -الإعانة.... وغيرها كثير

كل حاجة في يد الله، فاطلبوا من الله بصدق يا عباد الله.. فاللهم وحّد صفوف المسلمين، وأصلح ذات بينهم، واجعلهم قوة واحدة في وجه التحديات، إنك على كل شيء قدير.

إحياء ليلة النصف من شعبان:

وقد روى الإمام أحمد في مسنده عن السيدة عائشة (رضى الله عنها) أنها قالت: قال رسول الله (ﷺ) -يعنى في أهل الكتاب- (إنهم لا يحسدوننا على شئ كما يحسدوننا على الجمعة التى هدانا الله لها وضلوا عنها، وعلى القِبْلَة التى هدانا الله لها وضلوا عنها، وعلى قولنا خلف الإمام آمين). (أخرجه أحمد).

وهكذا ونحن نحتفى بهذه الذكرى المباركة يجب أن نستثمرها بالتوبة والإنابة والرجوع إلى الله، وبالتأسى برسول الله (ﷺ) الذي كان يُكثِر في هذه الليلة من الذكر والدعاء والصلاة... وقد ورد في بعض الكتب عن السيدة عائشة (رضى الله عنها) أنها رأت رسولَ اللهِ (ﷺ) ساجدًا في ليلةِ النصفِ من شعبان، حتى ظنَّت أنه قُبِضَ، فاقتربت منه فسمعته يقول في سجوده: (سجد لك سوادي وآمن بك فؤادي، يا عظيم اغفر الذنب، فإنه لا يغفر الذنوب إلا الرب العظيم، وأعوذ بك من سخطك، وأعوذ بعفوك من عقابك، وأعوذ بك منك، سبحانك جلَّ وجهك وعزَّ جاهك..) فاللهم أعد علينا هذه الذكرى ونحن في غاية القرب من والشوق إليك..

كرامة الإمام الليث بن سعد... وليلة النصف من شعبان

وُلِد الإمام المجدد المصري الليث بن سعد (رضى الله عنه)، وهو نجل الحضارتين المصرية والإسلامية

في ليلة النصف من شعباة عام ٩٤هـ وتفاءل أهل الوليد بمقدمه في تلك الليلة، نشأ في قرية قلقشندة مركز طوخ محافظة القليوبية، وشاء الله سبحانه وتعالى أن يموت في ليلة النصف من شعبان سنة ١٧٥هـ...

ولعلها كرمة من الله سبحانه وتعالى لهذا الرجل العظيم، أحد فقهاء الأمة الكبار ومجدديها ومحدثيها، الذين أسهموا في ثراء الفكر الدينى، وإثرائه وتجديده، الذي شرب من معين القرآن العظيم، ونهل من مشكاوات السنة النبى وسيرته، فكان أنموذجا في العلم والحلم والحكمة والنبل والسخاء والرحمة، والعطاء فقد علَّم الإنسانية معنى الإنسانية

قال عنه الإمام الشافعى: «الليث أفقه من مالك إلا أن أصحابه لم يقوموا به» وفي رواية له «...إلا أن قومه ضيعوه» أي: لم يؤدوا حقه بتدوين علمه، ونشره للناس.

الإمام الليث بن سعد هو مفتى الديار المصرية، كان (رضى الله عنه) "ملياردير‌ًا" بالمقاييس المالية المعاصرة، فقد كان يمتلك أراضى شاسعة، في القليوبية والجيزة وبور سعيد ورشيد. وكان "الإمام الملياردير" كريمًا على نحو مثير، حتى إن عددًا من المؤرخين يؤكدون أنّه لم تجب عليه زكاة قطّ.. ذلك أنه كان يتصدّق بكل ما يدر عليه من أموال وخيرات حتى لا يصل أبدًا إلى مرحلة بلوغ النِّصَاب الذي يمر عليه العام، الذي يُوجِب الزكاة.

وقال أشهب بن عبد العزيز: «كان لليث أربعة مجالس كل يوم: مجلس لحوائج السلطان (يريد ما يستشيره فيه الأمير من أمور الدولة)، ومجلس لأصحاب الحديث، ومجلس لأصحاب المسائل (يريد الفتوى في الحلال والحرام)، ومجلس لحوائج الناس». وله فضل كبير على تاريخ مصر، فتروى عنه الأخبار الكثيرة في فتح مصر ورجالها وشؤونها.(١٨)

صلته للإمام مالك:

يقول ابن وهب: «كان الليث بن سعد يصل مالك بن أنس بمائة دينار –من الذهب– في كل سنة، فكتب مالك إليه: أنَّ عليه دينًا فبعث إليه بخمسمائة دينار».

يقول أبو صالح كاتب الليث: كنا على باب مالك بن أنس (رضى الله عنه) –وطرقوا بابه– فامتنع– أي: احتجب، فقلنا: ليس يشبه هذا صاحبنا.

قال: فسمع مالك كلامنا، فأمر بإدخالنا عليه، فقال لنا: من صاحبكم؟

قلنا: الليث بن سعد.

قال: تشبهونى برجل كتبتُ إليه في قليل عصفر نصبغ به ثياب صبياننا، فأنفذ إلينا منه ما صبغنا به ثياب صبياننا، وثياب جيراننا، وبعنا الفضل بألف دينار!!.

ويقول قتيبة بن سعيد: سمعت شعيب بن الليث يقول: «خرجت مع أبى حاجًا، فقدم المدينة، فبعث إليه مالك بن أنس بطبق فيه رطب، قال: فجعل على الطبق ألف دينار، وردَّه إليه»(١٩).

وكان الليث (رضى الله عنه) يُعين على نوائب الدهر ومصائبه، «ولما احترقت كتب ابن لهيعة بعث إليه الليث بن سعد بألف دينار»[٢٠]؛ ليساعد على شراء الكتب التى تلزمه لمواصلة البحث والدرس..

وجاءت امرأة إلى الليث فقالت: يا أبا الحارث، إن ابنًا لي عليلًا، واشتهى عسلاً، فقال: يا غلام، أعطها مرطًا[٢١] من عسل، وكان مع المرأة إناء صغير الحجم، فلما رآه كاتب الليث راجع الليث قائلاً، إنها تطلب قليلاً من العسل، فقال الليث: إنها طلبت على قدرها، ونحن نعطيها على قدرنا، وأمره أن يعطيها المرط[٢٢].

لقد كان الليث ـ رحمه الله ـ مثالا يُحتذى به في الخلق النبيل.. كان لين الجانب.. رقيق النفس.. رضيَّ الخلق، وكان

(١٨) انظر: أحمد علي سليمان: كتاب الإمام المجدد الليث بن سعد الفقيه والمحدِّث والإنسان، القاهرة: دار زحمة كُتَّاب، ٢٠٢٣م

(١٩) انظر: البداية والنهاية لابن كثير ج٩ ص٥٩٢، وتذكرة الحفاظ للذهبي. ط بيروت ج١ ص٢٢٥، ومختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ج٢١ ص ٢٥٣، تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج١٣ ص٨–٩.

(٢٠) تذكرة الحفاظ ج١ ص٢٢٥، صفة الصفوة ج٢ ص٢٤٧٣، ومختصر تاريخ دمشق ج٢١ ص٢٥٣.

(٢١) والمرط عشرون ومائة رطل.

(٢٢) تذكرة الحفاظ ج١ ص٢٢٥.

مقصـــد ذوي الحاجة، لا حجاب بينه وبينهم، وكان رقيق القلب، عطوفًا على الناس، رحيما بهم، لا يألو جهدًا في التوسعة عليهم والرفق بهم

ويشـاء الله (تعالى) أن يتوفى الليث في ذات الليلة المكرمة.. ليلة النصـف من شـعبان سـنة مائة وخمس وسـبعين للهجرة (١٧٥هـ) بعد أن ملأ الدنيا من حوله بالخير، والعلم، والمعرفة، وآداب السلوك، وأسباب المحبة، على مدى اثنين وثمانين عاما في مكافأة من الله تعالى لهذا الرجل العظيم

وفقنا الله للاستعانة بنعم الله على طاعة الله، وعلى ترقية الحياة...

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

وفي النهاية نشكر الله (تعالى) العظيم الأعظم، الكريم الأكرم، الحكيم الأحكم، الذي هيأ لنا الأسباب، وأفاض علينا وأثاب، وألهمنا جليلَ الخطاب، وفتح لنا واسعَ الأبواب في العلم والخير والنفع.

نسأل الله أن يحفظ أوطاننا من الفتن ما ظهر منها وما بطن، اللَّهُمَّ احفظها من كل سوء، وبارك لنا فيها، واجعلها دار أمن وإيمان، وسلامٍ وإسلام. اللَّهُمَّ من أرادها بسوء فاجعل تدبيره تدميره، وردّ كيده إلى نحره.

اللَّهُمَّ أصلح ولاة أمورنا، وهيّئ لهم البطانة الصالحة الناصحة، ووفقهم لما فيه خير العباد والبلاد.

اللَّهُمَّ احفظ شبابنا من الفتن، وألّف بين قلوبنا، ووفّقنا للعمل الصالح الذي يرضيك عنا.

اللهم احفظ مصر شرقها وغربها، شمالها وجنوبها، طولها وعرضها وعمقها، بحارها وسماءها ونيلها، ووفق يا ربنا قيادتها وجيشها وأمنها وأزهرها الشريف، وعلماءها، واحفظ شعبها، وبلاد المحبين يا رب العالمين.

اللهم اشف مرضانا وارحم موتانا اللهم طهّر قلوبنا من الكبر، وزيّنها بالتواضع،اللهم اجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وصلّ اللهم وسلّم وبارك على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(...رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ) (النمل: ١٩)، (..الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ..) (الأعراف:٤٣)...

اللهم تقبل هذا العمل من الجميع... وبالله تعالى التوفيق

خادم الدعوة والدعاة

عضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية

والحاصل على المركز الأول على مستوى الجمهورية في خدمة الفقه والدعوة (وقف الفنجري ٢٠٢٢م)

المدير التنفيذي السابق لرابطة الجامعات الإسلامية- عضو نقابة اتحاد كُتَّاب مصر

واتس آب: ٠١١٢٢٢٢٥١١٥ بريد إلكتروني: drsoliman٥٥٥٥٥@gmail.c- m

يُرجى من السادة الأئمة والدعاة متابعة الصفحة الرسمية، وعنوانها:

(#معارج_الدعاة خُطب منبرية وقضايا فكرية وتربوية معاصرة د. أحمد علي سليمان؛ لمتابعة كل جديد

(١٥) Facebook